■■ الحركـــة الإســـلامية في مصـــر والقضية الفلسطينية

الكفاح الشعبي.. ثورة مصر..

سليمان خاطر... سيد نصير.. أيمن حسن

فرق كبير جدا بين الموقف الشعبي المصري من الكيان الصهيوني وبين الموقف الحكومي أو الرسمي، ذلك أن الموقف الشعبي المصري تحكمه العقيدة والوجدان أما الموقف الحكومي فتحكمه مجموعة من العوامل والمعادلات مختلفة تماما.

وبديهي أنه ما دامت الحكومات المصرية المتعاقبة- على اختلاف توجهاتها السياسية والاجتماعية – لم تخرج من رحم الشعب المصري بطريقة شرعية، أي لم يتم اختيارها بحرية، بل فرضت فرضا على ذلك الشعب واغتصبت السلطة بطريقة أو بأخرى، أي أنها في النهاية لم تكن تعبيرا عن هذا الشعب ولا ممثلة له فإن علينا أن نتوقع اختلافا جذريا في النظرية والسلوك تجاه الكيان الصهيوني وسوف نتتبع في إيجاز بعض جوانب الكفاح الشعبي المصري ضد الكيان الصهيوني مع الأخذ في الاعتبار أن هذا موضوع كبير وثري ولا يمكن أن يحيط به جهد باحث ولا دفتا كتاب.

منهج لفهم الصراع

الصراع مع الكيان الصهيوني، صراع حضاري يمتد في الزمان والمكان. وهو جزء

من ذلك الصراع الطويل والممتد بين الحضارة الإسلامية بما تمثله من حق وعدل وتوحيد والحضارة الغربية بما تمثله من قهر ونهب ووثنية. ذلك أن الإسلام – باعتباره الدين الخاتم، ومنهج الله تعالى للبشر لإقامة عالم بلا ظلم ولا استكبار ولا وثنية – دخل في صراع طويل وقاس مع مختلف المنظومات الحضارية في العالم واستطاع أن يبسط هيمنته وظلاله الوارفة عليها وأن يحسم الصراع لصالحه في أجزاء كثيرة من العالم في ذلك الوقت في آسيا حتى الهند والصين وسيبيريا وفي أفريقيا وفي أجزاء من أوروبا ذاتها.

وإذا كانت الحضارات القديمة مثل الفارسية والهندية والصينية وغيرها قد خضعت للنفوذ الحضاري الإسلامي، وأصبحت شعوب تلك البلاد جزءا لا يتجزأ من المنظومة الحضارية الإسلامية دينيًا وثقافيًا أو ثقافيًا فقط، فإن الحضارة الغربية وحدها هي التي صمدت حتى الآن واستعصت على الخضوع. وهكذا فإن الصراع بين الحضارة الإسلامية وبين الحضارة الغربية شغل مساحة واسعة جدا في التاريخ والجغرافيا منذ ظهور الإسلام وحتى اليوم ففي حياة الرسول ﷺ بدأ هذا الصراع من خلال اهتمام الرسول ﷺ بإرسال الرسائل إلى هرقل الروم يدعوه فيها إلى الإسلام وكذلك في غزوة تبوك، ثم إصرار الرسول ﷺ على بعث أسامة بن زيد، وحتى في مرض الموت ظل الرسول ﷺ يقول من وقت لآخر أنفذوا بعث أسامة، أنفذوا بعث أسامة، وهو الأمر الذي وفى به خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق رضي الله عنه، واستمر الصراع أثناء حكم الخلفاء الراشدين مع الدولة البيزنطية في الشام وشمال أفريقيا ثم في أثناء الحكم الأموي والعباسي في الشام وشمال أفريقيا وجزر البحر الأبيض المتوسط والأندلس حتى جنوب فرنسا. ثم أخذت أوروبا المبادرة وقامت بالهجوم في الشرق من خلال الحملات الصليبية ١٠٩٧ – ١٢٩٥ وقبل الحملات الصليبية على الشرق وفي أثنائها وبعدها استمر الصراع في الأندلس وشمال أفريقيا، وتعرضت بلاد المغرب العربي عموما والجزائر خصوصا لعشرات الحملات الصليبية قبل سقوط الأندلس وبعدها من شتى دول أوروبا « البرتغال – أسبانيا – فرنسا – انجلترا وغيرها ». ومع صعود الدولة العثمانية استطاعت تلك الدولة الفتية أن تمد حدود الإسلام داخل أوروبا حتى أسوار فيينا وقضت تمامًا على الدولة

البيزنطية وفتحت القسطنطينية ١٤٥٣ م ثم خاضت صراعا طويلا دفاعا عن الإسلام ضد أوروبا في الشرق والغرب، ومع ضعف وتفكك الدولة العثمانية استطاعت أوروبا أن تستعيد المبادرة مرة أخرى وأن تشن على العالم الإسلامي حملات متواصلة انتهت بسقوط معظم دول العالم الإسلامي في قبضة الاستعمار الأوروبي. ومع تصاعد حركات الكفاح الإسلامي الشعبي ضد الاستعمار، استخدم الاستعمار الأوروبي تكتيكا جديدا في الصراع، ألا وهو استخدام الحلم اليهودي في إقامة دولة إسرائيل على أرض فلسطين لتحقيق هدفين في نفس الوقت، الأول هو استخدام اليهود وأموالهم وأطماعهم التاريخية في الصراع ضد العالم الإسلامي بهدف القضاء عليه أو إضعافه على الأقل، والثاني هو التخلص من اليهود كنفاية بشرية غير مرغوب فيها في أوروبا وأمريكا.

وهكذا فإن الصراع مع الكيان الصهيوني ليس إلا حلقة من حلقات الصراع الطويل والمتميز بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية، وهو صراع بين التوحيد والوثنية، بين الحق والباطل، بين العدل والنهب، وبديهي أنه صراع لا يمكن حسمه إلا بسيادة حضارة على حضارة، وسوف تسود الحضارة الإسلامية بإذن الله، لأنها حضارة الحق، والحضارة الغربية، التي هي وثنية إغريقية في جوهرها لم تفتأ تحاول منذ أمد طويل القضاء على الحضارة الإسلامية، وما إقامة إسرائيل إلا جزء من هذا الصراع الطويل، ومادام الأمر كذلك فإن علينا أن ندرك أن الصراع سيستمر ويتشعب بهدف إنهاء الحضارة الإسلامية وعلينا بالطبع انطلاقا من ذلك أن نعمل لحسم الصراع لصالح الإسلام وإدراك أننا لسنا في صراع مع اليهود وحدهم بل مع الحضارة الغربية برمتها، وبالتالي فإن الحديث عن المفاوضات أو الحلول الوسط، أو استخدام المنطق ومخاطبة الضمير الغربي والأمم المتحدة أو اللعب على التناقضات الدولية والتوازنات الإقليمية وغيرها ما هو إلا ضياع للوقت وتشتيت للجهد، لأنه مادام الصراع هو حلقة من حلقات صراع طويل وممتد مع الحضارة الغربية فلا أمل في مخاطبة الضمير الغربي – لأنه بلا ضمير أصلا – ولأنهم الأعداء الأصليون أيضا، ولا أمل بالطبع في الأمم المتحدة لأنها صناعة غربية ولا أمل إلا في استخدام قوانا

الذاتية من أجل حسم الصراع لصالحنا.

ومادام الصراع صراعا حضاريا – يمتد في التاريخ والجغرافيا – ويستهدف وجودنا ذاته فليس هناك إذن أي هامش للاتفاق أو المفاوضات أو الحلول الوسط، فإما نحن وإما هم، إما حضارتنا وإما حضارتهم إما سيادة التوحيد أو سيادة الوثنية.

***

يجب علينا أن نستعد لصراع طويل وقاسٍ وألا نقع في وهم المفاوضات أو إمكانية الحصول على بعض حقوقنا من خلال المساومة، فليس هناك طريق إلا البندقية وليس هناك بديل للصراع.

والنبوة القرآنية ذاتها، تؤكد هذه الحقيقة ولا تدع مجالا للشك حولها باعتبار القرآن صدقا مطلقا لأنه من عند الله تعالى .

يقول الله تعالى في سورة الإسراء: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِي ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ صدق الله العظيم.

ويقول رسول الله ﷺ « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون حتى يقول الحجر والشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود » رواه الشيخان البخاري ومسلم.

نلاحظ إذن أن هناك منهجين في مواجهة الكيان الصهيوني، المنهج الأول هو منهج العلماء والجماهير، وهذا المنهج يرى أن الغزوة الصهيونية ما هي إلا حلقة من حلقات الصراع التاريخي بين القوى الربانية والقوى الشيطانية – المتمثلة هذه المرة في الاستعمار والصهيونية – ويدرك أبناء هذا المنهج أن حضارة الأمة ووجودها هو

المستهدف هذه المرة تمهيدًا لتصفية الكيان الحضاري لأمتنا وتوجهاتها الربانية في تحرير العالم وبالتالي فإن الصراع يمتد في الزمان والمكان ليأخذ أبعادًا عميقة ودرامية عبر التاريخ كله وعبر العالم بأسره، ومن هنا فإن التناقض لا يمكن حله إلا عبر المسلح طويل المدى – لإنهاء الحقبة الاستعمارية بكاملها وتدمير الكيان الصهيوني تماما وبلا أدنى فرصة في اللقاء على أية أرضية كانت.

ويؤمن أبناء هذا المنهج، أن القضية الفلسطينية هي القضية المركزية للأمة الإسلامية، وأن العقيدة الإسلامية وحرب التحرير الشعبية طويلة المدى هي الحل لهذه القضية.

أما أصحاب المنهج الثاني – وهو منهج الحكومات والوجهاء والأحزاب العلمانية – فإنه منهج المفاوضات والحلول الوسط، وأصحاب هذا المنهج يخافون على مصالحهم الضيقة ويبحثون عن صيغة اتفاق مع الكيان الصهيوني تحقق للطرفين مصالحهما، وهم لا يجدون مبررا لمواجهة إسرائيل مواجهة شاملة ويرون إمكانية التعايش معها لأنهم إما وجهاء يخافون على مصالحهم أو علمانيون لا يجدون في عقيدتهم مبررًا للمواجهة الشاملة لأنهم إفراز لنفس الشيء الذي أفرز الكيان الصهيوني « الحضارة الغربية» وبالتالي فالتناقض بين هؤلاء وبين الكيان الصهيوني تناقض ثانوي يتسع ويضيق حسب معطيات ومعادلات الصراع في المنطقة، وطبيعي أن هذه القوى مترددة تقاتل بشكل جزئي – إذا ما قاتلت – لتحسين ظروف التفاوض ليس إلا.

***

والشعب المصري في عمومه ينتمي إلى المنهج الأول، والحكومات المصرية المتعاقبة تنتمي إلى المنهج الثاني.

الوجدان الشعبي في مصر

الوجدان الشعبي في مصر وجدان إسلامي تماما، فالشعب المصري شديد التمسك بالإسلام في كل قطاعاته الاجتماعية والمهنية والثقافية على السواء، وأنه فيما

عدا النخبة المغتربة – وهي قليلة العدد جدا لدرجة لا تكاد تذكر – فإن الإسلام يرسم كل شيء في مصر، الحياة، الموت، الفرح، الحزن، السلوك، الانتماء، العلاقات الاجتماعية، العلاقات الاقتصادية غير الحكومية.. إلخ بل نكاد نقول أن الإسلام هو المعيار الشعبي الوحيد المعمول به في مصر، وأن الوجدان الإسلامي يرتفع كثيرا في الأوساط الشعبية في القرى والمدن من خلال الارتباط بالمساجد والاحتفال بالمناسبات الدينية.

والثقافة الشعبية في مصر إسلامية تماما في الشكل والمحتوى، فالجميع يبدأ يومه بالصلاة ولا يأكل طعامه حتى يقول بسم الله الرحمن الرحيم ولا ينهيه حتى يقول الحمد الله، وكذلك عادات النظافة والمعاشرة الزوجية وكل شيء صغيرا كان أو كبيرا يستمد قيمته وشكله ومضمونه من الإسلام، بل وحتى فترات اللهو والمرح تأخذ بعدا دينيا مثل انتشار الألعاب في المناسبات الدينية والموالد – وحتى لو كان هناك اعتراض شرعي على مثل هذه الممارسات إلا أنها في مضمونها الأخير تعكس مدى الارتباط بين كافة نواحي النشاط الاجتماعي بما فيها اللهو واللعب بالوجدان الإسلامي، ولأن الشعب المصري لا يفهم ولا يتحرك إلا من خلال الإسلام فإن كل القوى السياسية في مصر تحاول أن تأخذ غطاء شرعيا إسلاميا سواء كانت صادقة أم كاذبة وبديهي أن يكون فيها الصادق والكاذب- ولكن هذا الخطاب الإسلامي الذي تقول به كل القوى السياسية يدل دلالة واضحة على مدى تغلغل الوجدان الإسلامي لدى المصريين.

وإذا انتقلنا إلى الثقافة الشعبية في مصر تجاه اليهود عموما وإسرائيل خصوصا نجد أن هذا الوجدان الشعبي يرى أن اليهود هم أعدى أعداء المسلمين وأن هؤلاء اليهود قد تآمروا على الإسلام دائما بل تآمروا على رسول الله ﷺ، ويرى الوجدان الشعبي أيضا أن فلسطين هي أرض الإسراء وأن المسجد الأقصى هو أولى القبلتين وثالث الحرمين وأن الدفاع عن تلك الأراضي المقدسة واجب شرعي وإسلامي، وأن ظهور إسرائيل جاء نتيجة تآمر غربي صليبي مع اليهود ضد الإسلام بهدف القضاء على الحضارة الإسلامية، وأن الصراع مع إسرائيل أمر حتمي وسيستمر إلى أن

تزول إسرائيل بإذن الله، لأن زوال إسرائيل حتمية قرآنية أكدتها نصوص القرآن والسنة – راجع هذه النصوص في الفصل السابق – وبالتالي فإن رفض السلام مع الكيان الصهيوني يستند إلى نصوص دينية وإن الجهاد ضد إسرائيل واجب شرعي للقضاء على الإفساد الإسرائيلي وتحرير كامل الأراضي المغتصبة.

ويستمع المصريون كثيرا من خلال المساجد.. وخاصة في ذكرى الإسراء والمعراج إلى الآيات التي تؤكد بركة فلسطين والقدس والمسجد الأقصى:

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [الإسراء:١].

وهذه الآية الكريمة تقول أن المسجد الأقصى وما حوله أي القدس وفلسطين أرض مباركة.

وفي سورة الأنبياء:

﴿ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء:٧١].

وفي سورة سبأ:

﴿ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴾ [سبأ: ١٨].

وفي الحديث الشريف:

«لا تشد الرجال إلا إلى ثلاثة مساجد، مسجدي هذا والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى» رواه البخاري ومسلم

وفي العهدة العمرية – أي العهد الذي أعطاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند فتح القدس – « أن لا يسكن إيلياء القدس أحد من اللصوص واليهود » .

إذن ففلسطين أرض مباركة، والمسجد الأقصى هو مسرى رسول الله ﷺ، والقدس ممنوع على اليهود سكناها وفقا للعهدة العمرية وكل هذا يتكرر كثيرا في

الدروس الدينية الشعبية وخاصة في ذكرى الإسراء والمعراج.

وهذا بالطبع يجعل الوجدان الشعبي المصري في حالة الإيمان بواجب الجهاد ضد إسرائيل.

وعن أخلاق اليهود يسري في الوجدان الشعبي في مصر من خلال النصوص الدينية أن اليهود قساة القلوب – يغدرون بالعهد – قتلة للأنبياء جبناء .. إلخ

يقول الله تعالى:﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [النساء :١٥٥].

ويقول تعالى:﴿ لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾ [الحشر:١٤].

ثم إنهم أشد الناس عداوة للذين آمنوا:﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ ﴾[المائدة :٨٢].

وهم يتطاولون على الله تعالى:﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾[المائدة :٦٤].

وأنهم دائما يريدون إشعال الحروب وأنهم مفسدون في الأرض : ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة :٦٤].

وهكذا فإن الوجدان الشعبي في مصر مفعم بالكراهية لليهود، مفعم بحب المسجد الأقصى والقدس وفلسطين، ويرى أن اليهود هم أشد الأمم انحطاطا في أخلاقهم وأن الجهاد ضد إسرائيل واجب شرعي وحتمية تاريخية.

الاهتمام والتضامن منذ اللحظة الأولى وحتى عام ١٩٤٨

منذ البدايات الأولى للغزوة الصهيونية الاستعمارية - أظهر الشعب المصري اهتماما مبكرا وكبيرا، وهذا يعبر عن حقيقتين، هما شدة اهتمامه بتلك القضية ووعيه الفذ في نفس الوقت، بحيث أدرك مخاطرها الكبيرة قبل أن تتضح تلك المخاطر

تماما.

فالجمعية الشرعية ومثلا، قامت بإرسال كمية من المنسوجات إلى فلسطين لتوزيعها على المنكوبين سنة ١٩٣٠، يقول د. حامد الخطاب أن تلك المنسوجات أرسلت عن طريق سكة حديد مصر – فلسطين – وتلقى مجلس إدارة الجمعية رسالة محررة في ١٧ رجب ١٣٤٩ هـ الموافق ٨ كانون الأول « ديسمبر » ١٩٣٠ موقعا عليها من رئيس المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى بفلسطين وهو الشيخ محمد أمين الحسيني يشكر الجمعية على تبرعها وتضامنها مع العالم الإسلامي، ويضيف د. حامد خطاب أن الشيخ الإمام مؤسس الجمعية الشرعية « الشيخ محمود خطاب السبكي » كان يشير في خطبه ودروسه إلى خطورة الصهيونية على العالم الإسلامي وضرورة التضامن ومساعدة الشعب الفلسطيني، وأن أعضاء الجمعية الشرعية كانوا يحملون الدفاتر في الأماكن العامة للتبرع للشعب الفلسطيني كما شاركت الجمعية في المظاهرات الصاخبة التي شهدتها القاهرة عقب الإعلان عن قيام دولة إسرائيل سنة ١٩٤٨ مع غيرها من الجمعيات والهيئات الشعبية الإسلامية.

والإخوان المسلمون اهتموا منذ اللحظة الأولى بالقضية الفلسطينية باعتبارهم أنفسهم هيئة عالمية إسلامية تهتم بقضايا المسلمين في كل مكان – فما بالك بأن هؤلاء هم أهل فلسطين – أرض الإسراء ومكان المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين – وفي الحقيقة فإن القضية الفلسطينية كانت القضية المحورية والأولى في تفكير الإخوان المسلمين وحركتهم

يقول الإمام الشهيد حسن البنا « وفلسطين تحتل من نفوسنا موضعا روحيا قدسيا فوق المعنى الوطني المجرد، إذ تهب علينا منها نسمات بيت المقدس المباركة، وبركات النبيين والصديقين ومهد السيد المسيح عليه السلام » .

ويقول: « ولقد فهم المسلمون الأوائل ذلك وحققوه عمليا في خلافة عمر وعلى مسلمي اليوم أن يفهموا من هذه الآية:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا

حَوْلَهُ ﴾.

وأنه يجب عليهم حماية المسجد الأقصى وحراسته حتى يظل مسجدا إلى يوم القيامة ولا يعد معبدا يهوديا في يوم ما ».

وفي عام ١٩٣٨ حذر حسن البنا المصريين بقوله «أنهم سيضطرون إلى أن يدفعوا عن أنفسهم في المستقبل غائلة الخطر اليهودي الصهيوني بعد أن ترسخ قدمه على قيد خطوات من الحدود المصرية وحينئذ لا تنفع الجهود ويصدق علينا المثل القائل: «أكلت يوم أكل الثور الأبيض» .

وفي اجتماع لقيادات الإخوان عام ١٩٤٥ قال البنا « ونريد أن نؤمن حدودنا الشرقية بحل قضية فلسطين حلا يحقق وجهة النظر العربية ويحول دون تغلب اليهود على مرافق هذه البلاد، نحن نطالب بهذا لأنه تأمين لحدودنا ١٢٧ ومصلحة مباشرة لنا » .

ويقول حسن البنا: « إن الإخوان المسلمين يعارضون الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأنها تنطوي على خطر سياسي واقتصادي وحقنا أن تكون فلسطين عربية » .

ويقول أيضا: « إن القضية الفلسطينية أعادت الجهاد إلى الواقع مرة أخرى وقد سرت روح الجهاد من الحرم المقدس إلى المسلمين والعرب في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها » .

وفي عام ١٩٤٦ حذر حسن البنا الحكومة المصرية من خطورة المخطط اليهودي على سيناء وطالبها بالعمل على توطين المصريين فيها بإقامة المصانع والجامعات وتقوية شوكتها على حدود فلسطين » .

ويعتقد الإخوان أن الصراع بين المسلمين واليهود صراع له طبيعة خاصة تفرده عن سائر الصراعات الدولية. فمن هنا هم لا يجعلون من بين رسائل الحل ذلك الحل السلمي لأن الصراع في حقيقته، صراع بين الإسلام واليهودية منذ قيام الدولة الإسلامية الأولى » .

« إن التيار الإسلامي هو الذي قاد حركة الجهاد والمواجهة ضد العدو الصهيوني ومنذ بداية ظهوره على أرض فلسطين » .

يقول الأستاذ كامل الشريف « أخذ الإخوان يعقدون المؤتمرات ويبينون للشعوب حقيقة هذا الخطر الذي يهدد كيانهم ومستقبلهم حتى نجحوا في إشراك العالم الإسلامي كله في القضية الفلسطينية، وباتت قضية فلسطين هي قضية المسلمين والعرب لا قضية الفلسطينيين فقط. وحين قامت القلاقل في فلسطين أخذوا يمدون المجاهدين بما يقع في أيديهم من مال وسلاح حتى كانت ثورة ١٩٣٦ حين نجح عدد من شبابهم في التسلل إليها والاشتراك مع الثوار في جهادهم وخاصة في مناطق الشمال حيث عملوا مع المجاهد العربي الكبير « الشيخ عز الدين القسام ». وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية أخذ الإخوان يعملون للقضية عملا إيجابيا فأرسلوا وفودًا من دعاتهم وشبابهم يؤلبون العرب ويستحثونهم للكفاح، ويتولى نفر منهم تدريب الشباب الفلسطيني تدريبا عسكريا ولقد نجحوا في ذلك إلى حد بعيد حتى أصبحت شعبهم ودورهم هي مراكز لقيادة وساحات التدريب، ولا يزال أهل فلسطين يذكرون للداعية الإسلامي سعيد رمضان مواقفه الكريمة وأثره البالغ في توجيه الشباب العربي وجهة صالحة ويذكرون بالفخار والإكبار جهود الأساتذة عبد الرحمن الساعاتي وعبد المعز عبد الستار وعبد العزيز أحمد وغيرهم من كرام الدعاة والمدربين » .

ولعل مقال الكاتبة الصهيونية « روث كاريف » .المنشور في صحيفة « الصنداي ميرور » في مطلع عام ١٩٤٨ والذي نقلته جريدة المصري في نفس الوقت يبين مدى الجهود التي قامت بها جماعة الإخوان المسلمين من أجل القضية الفلسطينية، تقول كاتبة المقال « إن اليهود في فلسطين هم أعنف خصوم الإخوان المسلمين، ولذلك كان اليهود الهدف الأساسي لعدوان الإخوان، وقد قام أتباعهم بهدم أملاك اليهود ونهب أموالهم، وأنه يجب على العالم التدخل للقضاء على الإخوان المسلمين وإلا قامت إمبراطورية فاشية إسلامية تمتد من شمال أفريقيا إلى الباكستان ومن تركيا إلى المحيط الهندي »

وفي الحقيقة فإن جهود الإخوان المسلمين في مصر من أجل القضية الفلسطينية قد شملت كل مجال تقريبا بدءا من دروس الإمام الشهيد وتصريحاته ومرورا بحملات التوعية للشعب من خلال المساجد والصحف والمجلات وانتهاء بمد يد العون المادي والأدبي للشعب الفلسطيني، وفي هذا الصدد فإن مفتي الإخوان الشيخ سيد سابق – وهو عضو مجلس الإرشاد – قد أفتى بتأجيل فريضة الحج وتقديم المال والنفس للجهاد في فلسطين ».

وفي تلك الحرب – أي حرب ١٩٤٨ – قام الإخوان بالضغط على الحكومة المصرية لدخول الحرب من ناحية، كما قاموا بالدعوة للتطوع والتبرع وتم إنشاء معسكرات التدريب كما تم إرسال المتطوعين إلى فلسطين الذي قدموا أروع الأمثلة في الشجاعة والفدائية وحققوا العديد من الإنجازات، ولولا خيانة الحكام العرب لكان الوضع مختلفا.

يقول اللواء فؤاد صادق قائد القوات المصرية في حرب ١٩٤٨ « كان الإخوان المسلمون جنودا أبطالا أدوا واجبهم كأحسن ما يكون » ويقول اللواء المواديّ في شهادته « كان الإخوان المسلمون ينزعون ألغام اليهود وينسفونهم بها في صحراء النقب ».

وقد جفلت سجلات حرب فلسطين ١٩٤٨ بالكثير من بطولات وشخصيات الإخوان المسلمين مثل معركة كفار ديروم ١٤ أبريل ١٩٤٨، ومعركة صور باهر، والتبة ٨٦ وغيرها من المواقع، وكذلك الدفاع عن بيت لحم والخليل وبيت المقدس وغيرها، كما لمعت أسماء مثل أحمد عبد العزيز وعبد اللطيف أبو قوره وعبد الجواد طباله ومحمود عده وغيرهم من المقاتلين والشهداء.

كما نظمت الجماعة العديد من العمليات ضد المصالح اليهودية في مصر وخاصة ضد ممتلكات هؤلاء اليهود الذين أبدوا التأييد والدعم لإسرائيل.

ففي يونيو ١٩٤٨ اشتعلت النيران في الحي اليهودي وحينما ألقت الطائرات الإسرائيلية قنبلة على أحد أحياء القاهرة الآهلة بالسكان في يوليو ١٩٤٨. وقع انفجار

بعده بيومين في محلين تجاريين مملوكين لليهود « شيكوريل وأوركو » وتبع ذلك حوادث مماثلة مثل جاتينيو وبنزايون وغيرها .

وقد اتهمت دوائر الإخوان هؤلاء اليهود المصريين بأنهم يهربون السلاح إلى يهود فلسطين عن طريق القواعد الإنجليزية في القناة .

وفي الحقيقة فإن الإخوان وبسبب حماسهم الكبير وإسهامهم الهائل في دعم القضية الفلسطينية في ذلك الوقت قد دفعوا ثمن هذا حيث ضغطت القوى الدولية على الحكومة المصرية لحل جماعة الإخوان، بل واعتقل المجاهدون الإخوان الذين كانوا في فلسطين وقتها وأعيدوا إلى مصر مقيدين بالأغلال المصرية، بل وتم اغتيال الإمام الشهيد حسن البنا للسبب ذاته في عام ١٩٤٩ .

الكفاح الشعبي المصري ضد الدولة اليهودية

بعد قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ نتيجة أخطاء أو خيانات القادة العرب، لم ينقطع الكفاح الشعبي المصري ضد الكيان الصهيوني، وأخذ هذا الكفاح أساليب ووسائل جديدة إلا أن أهدافه ظلت ثابتة.

فقد استخدمت جماعة الإخوان المسلمين قطاع غزة – الذي أصبح تابعا للإدارة المصرية عقب حرب ١٩٤٨ – مركز الانطلاق للعمل الفدائي ضد الكيان الصهيوني يقول الدكتور عبد الله أبو عزه « كانت هناك رابطة قوية بين جماعة الإخوان في مصر وجماعة الإخوان في قطاع غزه قبل سقوطه في يد اليهود عام ١٩٦٧، وكان القطاع يضم ثماني شعب للإخوان هي المكتب الإداري – الرمال – الشجاعية والنصيرات والبريج ودير البلح وخان يونس ورفح. وكانت الشعب كلها تتبع المكتب الإداري».

ويضيف الدكتور عبد الله أبو عزه « وكان القطاع يستقبل الدعاة من حين لآخر وكانت ثمة صلة قوية مع الإخوان في العريش ومما قوى هذه الصلات وزاد من أهميتها أن الأستاذ كامل الشريف كان من أبرز الشخصيات الإخوانية في العريش كما كانت إحدى الشخصيات المرموقة لدى القيادة العليا للإخوان في القاهرة، ونظرا لأنه سبق له أن قاد الإخوان المسلمين في حرب فلسطين فقد كان على صلة وثيقة

بعدد من رجال القطاع . » ويحكي الأستاذ أبو عزه عددا من العمليات الفدائية التي نظمها إخوان مصر بالتعاون مع إخوان قطاع غزه مثل زرع الألغام ضد وسائل النقل الإسرائيلية المدنية والعسكرية، واستمرت تلك العمليات بعد ١٩٥٢ إلا أن الحكومة المصرية حاولت محاصرتها ومنعها مما أدى إلى انفجار المظاهرات ضد الحكومة المصرية في قطاع غزه .

وفي أثناء حرب ١٩٥٦ طلب عدد من الإخوان المسلمين الموجودين في السجون المصرية التطوع للقتال ضد اليهود إلا أن طلبهم رفض مع أنهم تعهدوا بالعودة إلى السجون بعد انتهاء المعركة، بل أكثر من هذا تمت عملية فصلهم في مكان واحد وإطلاق الرصاص عليهم فيما بعد في ١ – ٦ – ١٩٥٧ فيما يعرف بحادث طره.

ومع التقييد المستمر لحركة الشعب المصري عن طريق الديكتاتورية والقمع في الخمسينيات والستينيات ضعف الكفاح الشعبي المصري ضد الكيان الصهيوني مؤقتا وانتهى الأمر بهزيمة ١٩٦٧ التي لعبت الخيانة والإهمال دورهما في حدوثهما ومع انفراج الأوضاع نسبيا بعد سنة ١٩٧١ ظهر الكفاح الشعبي المصري ضد الكيان الصهيوني من جديد، فكان مطلب الحرب على رأس مطالب الحركة الطلابية المصرية، كما نشط علماء الدين الشرفاء من أمثال الشيخ المجاهد حافظ سلامة في عمل قوافل التوعية الدينية لقوات الجيش والتركيز على بعد الجهاد وأهميته وفضل المجاهدين، مما كان له أكبر الأثر على الأداء الرائع للجيش المصري سنة ١٩٧٣، وفي ذلك الوقت – أي قبل حرب ١٩٧٣ – كان يوجد تنظيم مسلح يقوده فلسطيني هو الدكتور صالح سريه يعمل في مصر ويضم العديد من طلاب المدارس والكليات العسكرية وبعض المدنيين ويهدف هذا التنظيم إلى القيام بانقلاب مسلح في مصر. باعتبارها أحد دول المواجهة وإقامة نظام إسلامي فيها يحقق تحرير فلسطين. وقد انكشف هذا التنظيم فيما بعد سنة ١٩٧٤ فيما عرف بتنظيم الفنية العسكرية وقد تمت محاكمة أعضائه وإعدام قادتهم .

وفي أثناء حرب ١٩٧٣ أظهر الشعب المصري الكثير جدا من التضامن مع الجيش بأكثر من صورة. فتوقفت جميع أنواع الجرائم تلقائيا كما تبرع جميع الأهالي

تقريبا بالمال والمؤن للجيش وكذلك التبرع بالدم لدرجة أن بنوك الدم لم يعد بها مكان خال للمزيد من الدم .

وعندما حدثت الثغرة – في الدفرسوار – قررت جماعة الجهاد – وهي جماعة سرية لم يكن أحد يعرف عنها شيئا حتى ذلك الوقت – الذهاب إلى منطقة الدفرسوار وقتال اليهود باعتبار ذلك واجبا شرعيا وقد اشتركت عناصر هذه الجماعة مع أفراد الجيش في القتال في تلك المنطقة مما أدى فيما بعد إلى انخراط العديد من العسكريين في صفوف الجماعة مثل عصام القمري وغيره .

وتعد معركة السويس من أهم المشاركات الشعبية المصرية في حرب ١٩٧٣، وكانت القوات الإسرائيلية قد نجحت في الوصول إلى مشارف السويس يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٧٣، ولو نجحت في دخولها لكان معنى ذلك أن حبلا قد التف حول رقبة الجيش الثالث في سيناء وأن مسدسا قد أصبح مصوبا للقاهرة عن طريق القاهرة – السويس، إلا أن شعب السويس قرر الصمود والقتال ونجح في منع القوات الإسرائيلية من دخول المدينة – وقد قاد تلك العملية الشيخ المجاهد حافظ سلامة وكان مسجد الشهداء بالسويس هو مركز قيادة المعركة، وقد استطاع المجاهدون من شعب السويس تحقيق الكثير من البطولات على مشارف السويس وبداخلها في أيام ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦ أكتوبر ١٩٧٣، وبرزت أسماء شهداء مثل إبراهيم محمد سليمان وإبراهيم محمد يوسف وأشرف عبد الدايم وسجلت يوميات معارك السويس معارك حي الأربعين ومعركة مسجد الشهداء التي حاول اليهود فيها السيطرة على المسجد باعتباره مقر القيادة إلا أن تلاحم شعب السويس حال دون ذلك، وقد اضطرت إسرائيل في النهاية إلى إلغاء العملية بعد أن وجدت أن تكاليفها باهظة .

تفاصيل بعض عمليات الكفاح المسلح

الإخوان المسلمون في حرب فلسطين الأولى

أيقن الإخوان المسلمون في سنة ١٩٤٧ أن المخطط الصهيوني بالتواطؤ مع الإنجليز قد أصبح وشيك التحقيق لإقامة إسرائيل وهكذا كان لابد من الإعداد

للجهاد والمعركة.. وبدأ الإخوان المسلمون يجمعون السلاح ويقيمون معسكرات التدريب ويدعون الشعب للتطوع والتدريب على السلاح، كما نجح عدد من عناصر الإخوان في الدخول إلى فلسطين والمشاركة في حرب العصابات قبل بدء معركة ١٩٤٨. وكان نشاط الإخوان في التسلل إلى فلسطين وتنظيم حرب العصابات ذا أثر كبير لدرجة أن اليهود كانوا يعتبرون الإخوان « مجرمي حرب » وعلى ذلك لم يكن اليهود يعاملونهم معاملة أسرى الحرب بل كانوا يقتلونهم ويشوهون أجسادهم. ويحكي الأستاذ كامل الشريف الذي كان قد تسلل إلى فلسطين أنه شاهد بنفسه اليهود يمسكون بالمجاهد الكريم « مختار منصور » من إخوان القاهرة في إحدى المعارك التي دارت حول مدينة يافا ويقذفون به إلى إحدى مصفحاتهم ثم يطلقون عليه الرصاص .ولم يكن حال الإنجليز تجاه المجاهدين المسلمين بأحسن من حال اليهود فقد كانت سلطات الاحتلال الإنجليزية في مصر وفلسطين على حد سواء تقوم بمطاردة المجاهدين وتمنع وصولهم إلى فلسطين أو تقبض على من وصل منهم إلى فلسطين وتحاكمه؟

وما إن تم إعلان قيام الدولة اليهودية في عام ١٩٤٨ حتى كان الإخوان يبادرون إلى إدخال أفواج من المجاهدين إلى فلسطين.

وبرغم أن حكومة النقراشي رفضت طلبا للإخوان لمرابطة مجاهديهم في الجزء الشمالي لصحراء النقب إلا أن الإخوان نجحوا بالحيلة والتسلل في اختراق الحدود والوصول إلى فلسطين. وقد وصل الفوج الأول من المجاهدين في فبراير ١٩٤٨ وبدأ هذا الفوج القتال الفعلي مع اليهود في صحراء النقب فأخذ يهاجم المستعمرات اليهودية بعناد وصلابة رغم ضعف عدده وعتاده

ومن المعارك الهامة التي خاضها الإخوان المسلمون في فلسطين معركة كفار ديروم الأولى، وهي مستعمرة صهيونية تقع على طريق المواصلات الرئيسي الذي يربط مصر بفلسطين. هاجم الإخوان تلك المستعمرة في صباح ١٤ أبريل سنة ١٩٤٨ اجتازوا الأسلاك الشائكة وطهروا الألغام والتحموا في معركة قاسية مع القوات الصهيونية وأوقعوا بها العديد من الخسائر وسقط العديد من شهداء الإخوان بعد أن

أبلوا بلاء حسنا، مثل الشهيد عمر عبد الرؤوف والمجاهد عبد الرحمن عبد الخالق. ونجح الإخوان من خلال سلوكهم الطيب وأخلاقهم الرفيعة وشجاعتهم الفائقة أن يكتسبوا ثقة رجال القبائل الفلسطينية وقام الإخوان بتنظيمهم وتوجيه حركتهم وقيادتهم في المعارك ضد اليهود. واستطاع الإخوان أيضا أن يقيموا عددا من التحصينات وأن يصمدوا للعديد من موجات الهجوم اليهود، مثل ذلك الهجوم الذي قام به اليهود على مقربة من « خربة أبو معلق » وأن يوقعوا باليهود هزيمة فادحة ويرغموهم على التقهقر بعد تدمير عدد من المصحفات نظير شهيد واحد خسره الإخوان هو المجاهد سيد حجازي وعدد من الجرحى منهم قائد الموقع في تلك الفترة المجاهد «محمد الفلاحجي » من إخوان الدقهلية.

ومن الشخصيات المميزة في شباب الإخوان المجاهدين الشهيد أحمد عبد العزيز الذي كان يتمتع بجرأة غير عادية وولع شديد بالمغامرة، وقد دخل أحمد عبد العزيز غزة بقواته وهاجم المستعمرات الواقعة فيها وخاض المعارك في خان يونس وكفار ديروم التي نجح في اقتحامها في النهاية وغنم المجاهدون في تلك المعركة خمس عشرة مصفحة ضخمة مشحونة بأحدث طراز من الأسلحة والذخائر ومواد التموين.

أما المجاهد محمود عبده فقد انهمك العدو بغاراته المتواصلة على مواصلاته ومراكزه وأخذ يبعث بالدوريات المسلحة لتجوب الصحراء وتعترض طريق القوافل وترغمهم على الفرار خلفها تاركة الكثير من الأسلحة والمعدات. ولقد حاول اليهود في ٧ مايو توصيل بعض المؤن إلى مستعمراتهم المحصورة، وكان الطريق الذي يسلكونه يمر فوق جسر مقام على أحد الأودية العميقة فقرر الإخوان نسف هذا الجسر لحظة مرور القافلة فوقه، وقامت بالفعل قوة من بئر السبع بقيادة المجاهد «علي صديق» وثبتت الألغام تحت الجسر واختبأت داخل الشعاب والمنحنيات القريبة ولم يطل بها الانتظار إذ تقدمت قافلة للعدو وهي جاهلة تماما ما ينتظرها فيما أن توسطت الجسر حتى انفجرت الألغام الهائلة وتطايرت أجزاء الجسر في الهواء وانقلبت المصفحات في الوادي السحيق، وانتهز الإخوان الفرصة فقاموا بحصد أرواح المقاتلين اليهود وأسفرت المعركة عن قتل عدد كبير من جنود الأعداء وأسر

عدد آخر وغنم المجاهدون عددا من المصفحات.

وفي إطار معارك الإخوان في فلسطين قام المجاهدون من الإخوان المسلمين بالدفاع المستميت عن مدينة بيت لحم وهي مدينة مسيحية مقدسة، وكان العدد الكبير من الإخوان الذي استشهد على أسوارها دليلا على أن الإسلام دين غير طائفي وأن الحركة الإسلامية حركة غير طائفية وأن تلك الحركة – ممثلة في الإخوان المسلمين – ترى أن مسيحيي الشرق جزء لا يتجزأ من الحضارة الإسلامية في مواجهة الحضارة الغربية.

وحول مدينة بيت لحم سجلت معارك فلسطين قيام الإخوان بعملية جريئة لاقتحام مستعمرة راماث رحيل التي دخلها الإخوان يوم ٢٦ مايو وأبادوا كل من فيها من جنود الهاجاناه وبلغ عدد القتلى اليهود في تلك المعركة حوالي المائتين.

وتكرر الأمر نفسه في مستعمرة تل بيوت حيث هاجمها الإخوان المسلمون بقيادة المجاهد « حسن حجازي » وتم تدميرها تماما وقد سجلت الصحف المصرية أنباء هذه المعركة وأشادت بشجاعة الإخوان المسلمين .

ومع دخول الجيش المصري إلى فلسطين قامت عناصر الإخوان بالعديد من العمليات المتميزة لخدمة هذا الجيش مثل التسلل خلف خطوط العدو أو نسف طرق مواصلاته أو غيرها من المهمات الخاصة مثل قطع خطوط مواصلات مستعمرة « بادمرد خاي » في ١٦ مايو ١٩٤٨

ومع كل هذه البطولات التي أوجزنا جزءا صغيرا جدا منها – ويمكن مراجعة الباقي في كتاب كامل الشريف، الإخوان المسلمون في حرب فلسطين – صدر قرار بحل جماعة الإخوان، ومع ذلك استمر الإخوان داخل فلسطين يؤدون واجبهم استجابة لنداء حسن البنا الذي قال فيه « أيها الإخوان لا يهمكم ما يجري في مصر، فإن مهمتكم هي مقاتلة اليهود ومادام في فلسطين يهودي واحد فإن مهمتكم لم تنته »

ومن المعارك المتميزة التي قام بها الإخوان المسلمون بعد قرار الحل « معركة التبة ٨٦ » ومعركة ديم «دير البلح » وغيرها من المعارك.

معركة السويس – أكتوبر ١٩٧٣

استطاع الجيش المصري وانطلاقا من صيحة الله أكبر والإعداد العسكري والسياسي الجيد أن يحقق نصرا عظيما وأن يعبر قناة السويس ويقيم رؤوس جسور في الضفة الشرقية للقناة، وحاولت إسرائيل الالتفاف حول هذا النصر وتفريغه من مضمونه فقامت بعملية الثغرة في منطقة الدفرسوار ونجحت في الوصول إلى مشارف مدينة السويس، واستهدفت تلك القوات احتلال مدينة السويس لاستكمال حصار الجيش الثالث في سيناء وتهديد القاهرة في نفس الوقت – ولو حدث هذا لا قدر الله لكان نصر رمضان قد تلاشى وأصبح غير ذي موضوع.

كانت القوات الصهيونية قد وصلت إلى مشارف مدينة السويس يوم ٢٢ أكتوبر حيث حاصرت المدنية ومنعت خروج قوافل الجرحي منها وقد أحس أهل السويس بأن مدينتهم محاصرة. فتحركوا بوعي ووجدان إسلامي إلى مسجد الشهداء وهو مسجد تابع لجمعية الهداية الإسلامية التي يرأسها الشيخ المجاهد حافظ سلامة – ويتدارك الأهالي الموقف ويبرز الشيخ حافظ سلامة كقيادة طبيعية لهم وبرغم أن الأوضاع التموينية والمعيشية والعسكرية للمدينة كانت سيئة للغاية فإن الأهالي بقيادة الشيخ حافظ سلامة قد قرروا الصمود والقتال حتى النهاية، وبادروا إلى العمل، فأمر الشيخ حافظ سلامة بوضع بعض السيارات المحترقة والقديمة في مداخل المدينة كما قام بإعداد مجموعة من الكمائن حول مداخل المدينة.

بدأت القوات الإسرائيلية في التحرك لدخول المدينة يوم ٢٤ أكتوبر وتصدى الكمين الأول لمجموعة من الدبابات الإسرائيلية مكونة من ثلاث عشرة دبابة ويصيب الكمين الأول دبابة وتفر باقي الدبابات ليتصدى لها كمين آخر موجود فوق مقهى أبو حجازية ويصيب منها دبابة أخرى وتفر باقي الدبابات ليتصدى لها كمين ثالث موجود فوق عمارة رونكا مما يجعل الدبابات تفر باتجاه بورتوفيق حيث وقعت في حقل ألغام هناك.

وتحاول مجموعة أخرى من الدبابات والمصفحات دخول المدينة فيتصدى لها

الكمين الأول حيث يصيب دبابة ثم توباز مما يشل حركة المجموعة فتفر باتجاه قسم شرطة الأربعين واستطاع اليهود محاصرة ضباط وجنود القسم في الخندق ونجحوا في دخول القسم، ولكن أهالي السويس بقيادة المجاهد إبراهيم سليمان وأشرف عبد الدايم وإبراهيم محمد يوسف عزموا أن يخوضوا معركة كبيرة داخل القسم ويطهرونه من قوات الاحتلال مما اضطر القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب عن طريق سطح القسم بطائرات الهليوكوبتر وتركوا خلفهم ٣٣ جثة يهودية (١٥٠). وفي يوم ٢٥ أكتوبر قدم اليهود إنذارا نهائيا للمدنية بالتسليم، وقد قبل محافظ السويس الإنذار وقرر تسليم المدينة، إلا أن الشيخ حافظ سلامة يرفض هذا الأمر وقرر استمرار المقاومة وأصدر بيانا تاريخيا عن طريق مكبر الصوت التابع لمسجد الشهداء قال فيه « بسم الله الرحمن الرحيم، نداء إلى المواطنين، بعد حمد الله تبارك وتعالى والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله، إن اليهود قد أنذروا المدينة بالاستسلام وأن المدينة قد قررت رفض الإنذار بإذن الله تعالى ومواصلة القتال إلى آخر قطرة من دمائنا، وعلى كل فرد من أفراد المقاومة أن يظل في موقعه ويدافع عنه إلى أن يقضي الله أمرا كان مفعولا، وما النصر إلا من عند الله ».

وإزاء هذا الموقف قررت القوات الإسرائيلية السيطرة على مسجد الشهداء باعتباره مركز قيادة المقاومة الشعبية، وتحاصر الدبابات الإسرائيلية منطقة مسجد الشهداء وعملت كردون من سبع دبابات حولها، وثلاث مصفحات وتستطيع مصفحة واحدة منها أن تصل إلى أول شارع الشهداء وتضرب ضربات استكشافية فأصابت واحدة منها المسجد وأصابت بعض الضربات عددا من المنازل، بل واستطاعت دبابة أن تصل إلى منطقة المسجد بينما وقفت أخرى في أول الشارع وثالثة في مدخل شارع سعد زغلول، ولكن شعب السويس تدافع للدفاع عن مقر قيادته ومركز مقاومته واستطاع شعب السويس أن يدمر هذه الدبابات وأن يجبر الباقية على الفرار.

وفي يوم ٢٦ أكتوبر وهو يوم عيد الفطر، كان هناك اتجاهان الاتجاه الأول يرى إقامة صلاة العيد على أساس أن هذا إظهار للتحدي أمام اليهود، والاتجاه الثاني هو

عدم الصلاة على أساس أن صلاة العيد سنة وليست فرضا وأن المدفعية والطيران الإسرائيليين يمكنهما أن يصيبا المسجد والمصلين.

وانتصر الرأي الأول – وبدأ التكبير والتحميد وتوافدت الجماهير إلى المسجد لتعلن التحدي، وكذلك جاء أفراد الجيش الثالث لأداء الصلاة وازدحم المسجد وخارج المسجد بالمصلين، وتقام الصلاة والطائرات تحوم وتقصف والمدفعية تطلق ضرباتها دون أن يصاب المسجد أو المصلون بأي أذى لأن الله كان هو الحارس

الله أكبر لا إله إلا الله

الله أكبر ولله الحمد

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا

والله أكبر أعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

لا إله إلا الله، ولا نعبد إلا إياه مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

وفي نفس هذا اليوم – أي يوم العيد – يشتبك المجاهدون أمام مدرسة التجارة الثانوية مع الدبابات الإسرائيلية ويصيبون بعضها ويصاب سور المدرسة ويسقط شهيد.

وعند مصنع الأزرار يشتبك كمين من المجاهدين مع الدبابات الإسرائيلية ويصيب بعضها ويسقط شهيد آخر.

وعند وابور المياه يشتبك المجاهدون مع دبابة كانت تريد اقتحام وابور الماء واحتلاله فيدمرها المجاهدون، وكانت الحصيلة ٦ دبابات إسرائيلية مدمرة وعشرات القتلى والجرحى اليهود.

وتستمر المدينة في الصمود وتستعصي على القوات الصهيونية، برغم حصار الجوع والعطش، وبرغم الضرب المدفعي وقصف الطائرات المستمر.

عمليات منظمة ثورة مصر

تخلص وقائع الأحداث في منظمة ثورة مصر إلى أن عددا من الشباب الوطني الحريص على العبادات والشعائر الإسلامية ، وكان عدد منهم من العسكريين السابقين أو الحاليين مثل محمود نور الدين والعقيد محيي الدين عدلي « ضابط بالقوات المسلحة المصرية » والمقدم أحمد على والرقيب أول قوات جوية « أسامة خليل »، والشيخ حامد إبراهيم يوسف « مساعد بالقوات المسلحة » والعميد حسن هوان، والعقيد ممدوح عدلي، ومن المدنيين أحمد عصام، نظمي شاهين، حماده شرف، إسماعيل عبد المنعم إسماعيل، الدكتور حمدي موافي، سامي فيشه، جمال عبد الحفيظ.

وقد قام هذا التنظيم بعدد من العمليات الجريئة ضد العناصر الأمريكية والصهيونية في مصر، ففي ٤/ ٦/ ١٩٨٥ تم إطلاق الرصاص على زيفي كيدار مسئول الأمن بالسفارة الإسرائيلية بالقاهرة، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمي شاهين، حماده شرف، سامي إبراهيم.

وفي ١٩/ ٣/ ١٩٨٦ تم تنفيذ عملية المعرض كاحتجاج على المشاركة الإسرائيلية في معرض القاهرة الدولي للكتاب وقد ترتب على هذه العملية جرح أربعة إسرائيليين، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمي شاهين، محيي عدلي، أحمد علي، سامي إبراهيم، حمادة شرف الدين، جمال عبد الحفيظ، أحمد عصام.

وفي ٢٦ مايو سنة ١٩٨٧ تم تنفيذ عملية إطلاق الرصاص على عدد من الأمريكيين العاملين في المخابرات الأمريكية مثل جون هوكي وجون فورد وديفيس ويليافر، وقد نفذ هذه العملية كل من محمود نور الدين، نظمي شاهين، سامي فيشه، حماده شرف الدين.

سليمان خاطر – حادث رأس برقة

في يوم ٥ أكتوبر سنة ١٩٨٥ – قبيل الغروب – كان الجندي سليمان خاطر في خدمته التي بدأت الساعة الثانية ظهرا على نقطة مرتفعة عن الأرض ١٥٠ مترًا، في

مكان على هيئة صحن. جلس الجندي سليمان خاطر وتحته الخليج، ومعه السلاح الذي كان جاهزًا ومعمرًا كعادة سليمان خاطر دائمًا، صعدت مجموعة من اليهود أكثر من « ٧ » إلى المكان الذي كان يحرسه سليمان خاطر، أطلق سليمان النار على اليهود، مات ٧ وجرح اثنان، كان القتلى، هم شلاح عامان – يوم أمير – باري دين – جوريفل أبيتا – شيلا زيلبل – أو فرى توريل – شيلاك إيلانا والجريحان هما أجوديوم، موشي يوم ونجا عدد آخر حيث فروا منه وكان السلاح المستخدم في الحادث هو البندقية الآلية رقم ١٢٢٣٤٠٨ عيار ٧.٦٢ × ٣٩. تمت العملية قبيل الغروب.

ملامح شخصية سليمان خاطر

سليمان محمد عبد الحميد خاطر – ٢٥ سنة – مواليد سبتمبر ١٩٦٠ من بلدة أكياد مركز فاقوس، محافظة الشرقية، له خمسة أشقاء هو أصغرهم، من أسرة ريفية متدينة، جند في ٤ – ١٠ – ١٩٨٢ وانضم إلى قوات الأمن المركزي بسيناء في ١ – ٦ – ١٩٨٣، حصل على الثانوية العامة العام ١٩٨٣ القسم الأدبي، التحق بكلية الحقوق جامعة الزقازيق، نحيل الجسم، نظيف الملبس في غير تكلف، طويل الجسم وسيم.

« وديع – هادئ متدين – معتز بكرامته – صريح وصامت، يؤدي جميع فراض الصلاة في الجامع، يصوم الاثنين والخميس أسبوعيا، يصلي إماما بالناس في الجامع، لا يعرف العلاقات المنحرفة، ودائما متوضئ وعارف ربنا » .

« مسلم غيور على دينه وكرامة بلده » .

« مواظب على الصلاة وليس له مشاكل مع زملائه وليست له تصرفات مريبة أو شاذة » .

« كويس ومؤدب وسلوكه عادي جدا ويصلي كما نصلي جميعا » .

« إنني أومن بالله عز وجل ولا أخشى الإعدام، وكل ما أخشاه أن يكون الحكم

علي سببا في تردد أو تخاذل الجنود لأنهم يخشون حسابًا جائرا على أداء الواجب » .

« طول عمرنا نعرف أن اليهود أعداء الله والرسول وأعداء المسلمين، ولقد فرحت لأن ابني قتل اليهود » .

وقد نشرت الصحف بعض الصور لسليمان خاطر، وقد كتب على بعض البراميل في وحدته شعارات مثل الله أكبر ولله الحمد، الله غايتنا والرسول زعيمنا والإسلام ديننا وغيرها من الشعارات الإسلامية.

هذا وقد تم اغتيال سليمان خاطر في السجن الحربي في ظروف مريبة وادعت الأجهزة الرسمية أنه مات منتحرا، وقد حدث تعاطف شعبي واسع مع سليمان خاطر وانفجرت العديد من المظاهرات الصاخبة في الزقازيق والقاهرة والمنصورة وغيرها من المدن المصرية.

وقد حاولت الدوائر الإعلامية المشبوهة سحب الرصيد السياسي للحادث عن طريق ادعاء أن سليمان خاطر كان مختلا عقليا وهو الأمر الذي لم يثبت على الإطلاق.

سيد نصير – إعدام كاهانا

بينما كان الحاخام مائير كاهانا . يلقي خطابا في نحو ستين رجلا من أنصاره في صالة المؤتمرات في الطابق الأول من فندق هالموران هاوي بحي مانهاتن بمدينة نيويورك في مساء يوم ٦ نوفمبر ١٩٩٠ دخل إلى القاعة شاب نحيف ذو لحية تظاهر بالاستماع إلى محاضرة كاهانا. قال كاهانا كلامه التقليدي الذي يقوله في كل محاضرة « وليس أمام عرب فلسطين إلا الموت أو الطرد » قالها بصوت عال فيه نبرة غطرسة وغرور، بينما قال الشاب النحيف لنفسه بصوت لم يسمعه أحد « فلسطين إسلامية رغم أنف الصهيونية ».

وعندما وقف مائير كاهانا يتلقى بعض الأسئلة من الحاضرين – اتجه نحوه الشاب النحيل « سيد نصير » في هدوء وثبات وكان مبتسما وبادره بإطلاق رصاصتين أصابت إحداهما عنق الحاخام وأصابت الثانية صدره ونقل الحاخام إلى المستشفى

الذي أعلن وفاته بعد خمسين دقيقة من وصوله.

خرج سيد نصير من الفندق بعد أن جرح برصاص أحد الزبائن، وبينما كان يستعد لإجبار سيارة أجرة على نقله حاول رجل شرطة – متقاعد تصادف وجوده في المكان في ذلك الوقت – اعتراض طريقة فتبادل معه إطلاق الرصاص وأصيب كل منهما.

انتقل السيد نصير إلى المستشفى، ووضع تحت حراسة مشددة، وعندما علم بموت كاهانا برصاصات مسدسه ابتسم في سعادة، لقد أدى شيئا من واجبه نحو فلسطين، نحو القدس، نحو أمته الإسلامية.

ملامح الشخصية والدوافع

سيد عبد العزيز نصير – مواليد بورفؤاد عام ١٩٥٥، تخرج في كلية الفنون التطبيقية بجامعة حلوان عام ١٩٧٨، هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية في ١٤ – ٧ – ١٩٨١، تزوج من فتاة أمريكية مسلمة.

يقول أحد زملائه « إنه ملاك، لا يعرف الكذب والخداع، لم يتغير فيه شيء منذ جاء إلينا، زوجته سيدة فاضلة، إنه إنسان فريد، لا يتكلم كثيرا، لم أر دموعه إلا عندما وصلت إلينا أنباء مذبحة المسجد الأقصى التي دبرها الإرهابيون اليهود » .

أما الأب عبد العزيز نصير فيقول « سيد كان تقيا يعرف الله تعالى وكان محبوبا من الجيران- دائم التردد على المساجد. زوجته ترتدي الحجاب وكان مشهورًا بالأدب وحسن السلوك » .

ويقول شقيقه محمد نصير « أن سيد فعل هذا دفاعا عن كل المسلمين » .

وقد أثبتت التحقيقات الصحفية والحوارات الشخصية المختلفة مع سيد نصير من خلال المحامين المصريين وغيرهم أنه قام بهذا العمل انتقاما لمذبحة المسجد الأقصى التي قام بها اليهود في شهر أكتوبر ١٩٩٠ أي قبل أقل من شهر على هذا الحادث .

أيمن محمد حسن وحادث نقطة البرج

أيمن محمد حسن، من مواليد محافظة الشرقية سنة ١٩٦٧، مجند بقطاع وسط سيناء للأمن المركزي، متدين هادئ الطباع، يقرأ الكتب الدينية، يحفظ القرآن الكريم، وسيم الشكل والملامح، طويل، قوي البنية، بطل مصارعة سابق .

يقول أيمن: إنه نفذ العملية انتقاما للمذابح التي يتعرض لها الشعب الفلسطيني على يد اليهود وخاصة مذبحة المسجد الأقصى في أكتوبر ١٩٩٠، وأنه فعل ذلك لإكمال مسيرة سليمان خاطر وسيد نصير، وأن يكون واحدا من هؤلاء المجاهدين في سبيل الله باعتبار الجهاد ذروة سنام الإسلام. ويضيف أيمن أن فكرة الانتقام ظلت تراوده وتلح عليه إلى أن نفذها في النهاية .

ويحكي أيمن في تحقيقات النيابة العسكرية، أنه في يوم ٢١ – ١١ – ١٩٩٠ قرر أيمن أن ينفذ العملية وبدأ بالخطوات العملية لتحقيق ذلك، وفي يوم ٢٤ – ١١ – ١٩٩٠ أخذ أيمن يفكر ولم يقبل تناول الطعام وكان يفكر في كيفية دخول الأراضي المحتلة، يقول أيمن « عرفت في ذلك اليوم أنني فرد خدمة على نقطة البرج من الساعة العاشرة مساء إلى الثالثة صباحا وأخذت أفكر كيف أجهز السلاح والذخيرة اللازمة لتنفيذ العملية؟ وقررت أن أعبر الحدود مع أول ضوء وأن أحصل على السلاح والذخيرة الموجودة في غرفة الاتصال، وانتهزت فرصة غياب فرد خدمة غرفة الاتصال وقمت بدخول الغرفة وحصلت على ١٢ خزنة من الخزن الصالحة للبندقية الآلية التي كانت معي، وقد حصلت على تلك الخزن على دفعات وكنت أقوم بإخفائها في إحدى الصخور في مكان الخدمة بمنطقة البرج، وعندما اطمأننت إلى عدم اكتشاف الأمر أغلقت صندوق الذخيرة وأخذت المزيد من الطلقات حتى أصبح لدى ٢٥٠ طلقة بالإضافة إلى ٢٥ طلقة هي عهدتي علاوة على خزن زميلي عيسى راغب وكان بها ٢٥ طلقة كان قد تركها بغرفة الاتصال وكانت الذخيرة من عيار ٧.٦٢ + ٣٩ .

ويضيف أيمن في تحقيقات النيابة العسكرية: « كنت قد أفرغت مخلتي من المهمات حتى أضع فيها الذخيرة، وسبق ذلك أثناء وجودي بغرفة الاتصالات أن

قمت بفتح الشباك من الداخل ووضعت الذخيرة على أفريز الشباك ثم أغلقت الشباك من الداخل ثم خرجت من الغرفة والتفتت حول العنبر وأخذت معي المخلة الخاصة بي ثم قمت بوضع الذخيرة بها وتوجهت إلى مكان الخدمة بالبرج وبدأت أثناء وجودي بالبرج تعمير الخزن بالذخيرة، وفي حوالي الساعة الثانية صباح يوم ٢٥ – ١١ – ١٩٩٠ جاء لي الجندي عيسى وقال لي « ألن تنزل لتسلم الخدمة للجندي سعيد؟ فقلت له: اتركه فهو تعبان وأنا أمسك الخدمة مكانه، وكنت قد أخفيت الخزن والذخيرة حتى لا يرتاب أحد في أمري، وبعد ذلك رأيت فرد خدمة الاتصال ويدعى عاطف فذهبت إليه بحجة شرب الشاي معه فلما طلب مني إيقاظ الجندي سعيد استجبت له حتى يقوم سعيد بالجلوس معه ليشغله عني، وعملت شايا وكاكاوا وقعدنا نتكلم مع بعضنا ثم تركتهم وطلعت إلى مكان خدمتي بالبرج، واستكملت تعمير باقي الخزن ثم نزلت إليهما وصليت معهما الفجر في جماعة ثم استاذنت منهم لتغيير ملابسي بحجة أنها مبللة وبالفعل قمت بتغيير الملابس ولبست بدلة من البدل الصوف أفرول خفيفا وبدل البيادة كوتش وشراب ملكي حتى أصبح خفيف الحركة أثناء تنفيذ موضوع ضرب اليهود. كما لبست حزاما على وسطي وقايش أيضا استعرته من أحد الزملاء وذلك حتى أستخدم كلا من الحزام والقايش في ربط الخزن حول وسطي.

ثم عمرت البندقية رقم ٣١ بالذخيرة وتركتها على وضعها ولم أقم بسحب الأجزاء حتى لا تحدث صوتا ثم توكلت على الله ونزلت واتجهت إلى طريق الحدود الدولية وعبرت الحدود وتوغلت مسافة ٣٠٠ متر وعبرت الطريق الأسفلتي إلى الجهة الأخرى وتخيرت كمينا صالحا للضرب عبارة عن زوايا حديدية مثبتة وعليها ألواح حديدية طولها ١٥ مترا كما أخذت المكان بحيث يشرف على منحدر بالطريق ساترا لي حتى لا يراني القادم من إسرائيل وأخذت الوضع راقدا، ووضعت البندقية على الأرض بين الزوايا الحديدية في منطقة تقع بين العلامة ٨١ حـ والعلامة ٧٩ شـ، وكانت الساعة قد تجاوزت السادسة بقليل، وجاءت سيارة إسرائيلية نصف نقل من اتجاه العلامة ٨١ حـ متجهة إلى العلامة ٧٩ ش أي من الجنوب إلى الشمال، وما إن اقتربت العربة مني على مسافة ٥٠ مترا حتى أطلقت عليها الرصاص إلا أن العربة

استمرت في السير وبعد فترة بسيطة حضرت عربة جيش إسرائيلية من الاتجاه العكسي أي من الشمال إلى الجنوب فأطلقت عليها الرصاص في اتجاه سائق العربة الذي أصيب وتوقفت العربة أمامي فقمت بالالتفاف حولها وأطلقت الرصاص على السائق مرة أخرى فقتل في الحال ثم عدت إلى وضعي السابق وغيرت خزن السلاح، وجاءت على الفور سيارة أوتوبيس إسرائيلية من الجنوب إلى الشمال فأخذت الوضع راقدا ونشنت على السائق وهو قادم على مسافة حوالي ٧٠ مترا فانحرف الأتوبيس ونزل السائق من باب الركوب وانبطح أرضا فقابلته بمزيد من الرصاصات. وفي تلك الأثناء جاء أوتوبيس آخر سياحي من الجنوب إلى الشمال فأخفيت السلاح وتظاهرت بالوقوف على الطريق وعندما هدأ الأوتوبيس من سرعته أطلقت الرصاص على مقدمته ثم تبادلت الرصاص مع الكمساري حيث إن كل الكمسارية في إسرائيل يحملون سلاحا، وأنا كنت أعرف هذا من قبل، ثم أخذت ساترا وأخذت أتبادل إطلاق النار مع الكمساري والسائق وأخذت أحاول الانسحاب إلى داخل الحدود المصرية لأنه من الطبيعي أن يكونوا شعروا في إسرائيل بكل ذلك ولابد أن تتحرك وحدات إسرائيلية لمطاردتي، وبالفعل وقبل وصولي إلى الحدود المصرية وجدت دورية إسرائيلية قادمة من الشمال إلى الجنوب وأطلقوا النار علي إلا أنني أفلت بعون الله واتخذت طريقا ملتويا « زقزاقيا » ولم تصبني أية طلقة وعبرت الحدود المصرية لمسافة ٣٠٠ متر ووصلت إلى وادي أسفل تبة الصفراء حتى لا أكون في مرمى نيران الجنود الإسرائيليين وجلست تحت شجرة لأستريح وقررت الاتجاه إلى طريق الكونتيلا أو طريق عثمان حتى لا يعرف اليهود أنني من ضمن أفراد نقطة البرج فيقومون بالاعتداء عليها، وتوجهت إلى طريق عثمان فوجدت عربة نصف نقل من طراز تويوتا تحمل جراكن وطلبت من سائقها توصيلي إلى الكونتيلا، فقام بتوصيلي إلى موقع لشركة عثمان أحمد عثمان وجلست بجوار الغفير وكانت بي إصابة طفيفة نتيجة مرور إحدى الرصاصات بالقرب من جبهتي وسألني الغفير عن سبب إصابتي فقلت له تفاصيل الموضوع وأنني قتلت اليهود لأنني أكرههم وطلبت منه أنه يخبر أهلي أنني استشهدت في سبيل الله، وكتبت له عنوان أهلي بالطباشير على الحائط، لعدم وجود أوراق وأقلام وعندما جاء مهندس الموقع قلت له أن يكتب خطابات باسمي

إلى أهلي وقمت بإملائه صيغة الجواب فكتبها وطلبت منه أن يسلمها إلى الحاج محمد حسن ثم وقعت بنفسي على الجواب، وقد تم تحرير الخطاب بمعرفة النيابة وهذا نصه « بسم الله الرحمن الرحيم - الوالد الكريم الحاج محمد حسن - ابنكم مات شهيدا في سبيل الله - وأعرفك أنني أحترمكم جدا ولا تندموا على أيمن، لأن الندم لا ينفع بل الصبر وأنا لقيت أجلي والموت حق على كل إنسان، وأكن لكم كل الحب ولا تبكوا على أيمن فقد مات شهيدا ».

وبعد ذلك - والكلام مازال لأيمن - طلبت من المهندس توصيلي إلى وحدتي، فقام بتدبير سيارة وزاملني فيها اثنان من الأمن الخاص بالشركة، وقد أعطاني أحدهما جاكيت صوفا والآخر أعطاني تلفيعة حتى لا أتأثر بالبرد، وبالفعل وصلت إلى وحدتي وسلمت نفسي لقائد المنطقة.

على أي حال، فقد أسفرت تلك العملية وحسب البيانات الإسرائيلية عن مصرع خمسة إسرائيليين بالإضافة إلى أكثر من ٢٠ جريحا إسرائيليا وتدمير ست مركبات إسرائيلية ما بين أتوبيسات سياحية أو عادية أو عربات جيب .

***

إذن فقد كان أيمن قد أعد خطة مسبقة ونفذها بذكاء على عدة مراحل، فهناك القرار ثم الرصد والمتابعة ثم عمل خطة للتنفيذ العملية، والعملية برمتها وبكل مراحلها تدل على ذكاء وكفاءة من حيث اختيار الهدف والتوقيت ومكان الكمين وقرار الانسحاب في اللحظة المناسبة وغيرها.

على أن الجدير بالتسجيل أن زملاء أيمن وكل من قابله من المصريين قد تعاطف معه. فبعضهم ساعده في تحرير الخطاب والبعض الآخر ساعده في الوصول إلى كتيبته، والبعض الثالث أعطاه سترة صوفية أو تلفيعة للوقاية من البرد.

وعلينا أن نلاحظ أن التعاطف الشعبي مع أيمن كان هو نفسه مع سليمان خاطر وسيد نصير، مما يدل على أن هذه الأعمال التي قام بها هؤلاء تعكس الوجدان الشعبي المصري.

في مواجهة نهج التصالح مع الكيان الصهيوني

وانطلاقا من النهج الثابت للشعب المصري الذي يرى من خلال عقيدته ووجدانه عدم إمكانية التصالح والتعايش مع الكيان الصهيوني باعتبار أن الصراع مع الكيان الصهيوني جزء من صراع تاريخي طويل بين الحضارة الإسلامية والحضارة الغربية وأنه لا يمكن للصراع أن يحسم إلا من خلال الكفاح المسلح وبالتالي فإن من الخطأ الجسيم الوقوع في حبائل التسوية والتصالح، انطلاقا من هذا النهج استمر الشعب المصري يرفض كل المبادرات والاتفاقيات الحكومية في مصر باتجاه التصالح مع الكيان الصهيوني.

وكان الرئيس السادات قد استغل الأزمة الاقتصادية وسوء الأحوال المعيشية للشعب المصري في الدعاية للسلام باعتباره طريقا للرخاء، كما أن الشعب المصري كان يعاني – بالفعل – من سوء معاملة العرب للمصريين العاملين في الدول العربية، وركز الإعلام الساداتي على ذلك كثيرا لتبرير قطع الصلة بالقضية الفلسطينية والاتجاه نحو السلام مع إسرائيل، ولكن الشعب المصري الفذ ارتفع فوق كل ذلك وتمسك بمنهجه الثابت في رفض التصالح مع الكيان الصهيوني، رغم تردي أوضاع المعيشة، ورغم تنكر العرب لمصر وشعبها ورغم الممارسات المقززة لبعض القادة الفلسطينيين، وأدرك الشعب المصري أن ممارسات البعض لا تنسحب على الكل وأنه حتى لو تنكر الفلسطينيون أو العرب للقضية فلن يتنكر الشعب المصري لها لأن منطلقاته نحوها إسلامية ووجدانية وثابتة.

وما إن قام السادات بالذهاب إلى القدس عام ١٩٧٧ وتوقيع اتفاقية كامب ديفيد سنة ١٩٧٨ حتى ظهرت المعارضة الشعبية لذلك النهج. فعلى سبيل المثال قامت جماعة الإخوان المسلمين والجماعة الإسلامية وجماعة الجهاد بإصدار العديد من البيانات المنشورة وغير المنشورة في الصحف أو الموزعة على الجامعات والمناطق السكنية التي ترفض فيها اتفاقية كامب ديفيد وتعلن تضامنها مع الشعب الفلسطيني، كما لعبت صحف مثل المختار الإسلامي، الاعتصام والدعوة ولواء الإسلام دورا هاما في هذا الإطار – أي في رفض التصالح والتطبيع والتمسك بتحرير كامل التراب

الفلسطيني.

يقول المرشد العام للإخوان المسلمين « إن التفريط في شبر أو التنازل عن شبر من أرض فلسطين خيانة، والرضا بكيان دخيل يقاسمنا أرضنا هو أفدح من الخيانة والبحث عن شعارات غير شعارات الإسلام نتحرك تحتها في مواجهة عدو يحتل أرضنا وينتهك ويسفك دماءنا أو البحث عن مسارات أو دروب كمسار المؤتمر الدولي ومنطلقه أو التسكع في دهاليز الهيئات الدولية ننتظر الفتات بعد الفرار من المعارك والإعراض عن المواجهة وتولية الأدبار وقت الزحف، وأن الخيار العسكري هو الخيار الصحيح » .

ويقول أحد بيانات الجماعة الإسلامية « ألا فليسمع الجميع – قال النبي ﷺ : (لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودي وراء الحجر والشجر فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودي ورائي فاقتله) .

وقد نشطت الحركة الطلابية التابعة للإخوان والجماعة الإسلامية في إقامة المعارض والندوات وأسابيع التضامن مع الشعب الفلسطيني كما قامت النقابات المهنية- وهي في معظمها تابعة للاتجاه الإسلامي بإصدار العديد من البيانات التي تندد بالتصالح وتدعو إلى التضامن مع الشعب الفلسطيني. كما أصدرت النقابات المهنية قرارا بمعاقبة أي عضو ينتمي إليها يقوم بزيارة إسرائيل أو التعامل المهني وغير المهني معها، كما نظمت العديد من مؤتمرات التضامن مع الانتفاضة الفلسطينية في مقر تلك النقابات مثل مؤتمرات نقابة الأطباء والمهندسين والمحامين وغيرهم.

وتعد عملية اغتيال الرئيس السادات في حادث المنصة سنة ١٩٨١ ذات صلة مباشرة بقيام السادات بتوقيع اتفاقية كامب ديفيد، حيث قرر القائمون بهذه العملية أن أحد أسباب اغتيال السادات ترجع إلى توقيعه صلحا مع العدو التاريخي للأمة الإسلامية وهو اليهود ومحاولاته تصفية القضية الفلسطينية .

يقول خالد الإسلامبولي في رسالة تركها لأهله « إننا عقدنا العزم على قتل فرعون

مصر لعل الله ينقذها من الضياع في مصادقة الصهاينة » .

وقال خالد في تحقيقات النيابة العسكرية « أنه قتل السادات لأنه لم يطبق شرع الله وتصالح مع اليهود وقبض على علماء المسلمين » .

ولعله من الجدير بالتسجيل هنا أن حركة الجهاد الإسلامي في فلسطين التي ظهرت في أوائل الثمانينيات كانت عناصرها القيادية فكريا وتنظيميا قد ارتبطت بحركة الجهاد في مصر وأخذت عنها فكرها السياسي والحركي وتأثرت فكريا وتنظيميا بالعديد من المصريين، بل نكاد نقول أن الهيكل الفكري لحركة الجهاد الفلسطيني قد صاغه مصريون أساسا وهو الأمر الذي سجلته تحقيقات القضايا ٤٦ لسنة ١٩٨١، ٢٩٥ لسنة ١٩٨٤، ٤٠١ لسنة ١٩٨٧.

وعلى صعيد الرفض المسلح والمشفوع بالدم سجل الكفاح الشعبي المصري العديد من العمليات المتميزة مثل عمليات منظمة ثورة مصر ثم حادث رأس بركة الذي نفذه الشهيد سليمان خاطر عام ١٩٨٦ وعملية إعدام كاهانا التي نفذها المصري سيد نصير في نيويورك سنة ١٩٩٠، وكذلك عملية الجندي المجاهد أيمن حسن الذي تسلل عبر الحدود المصرية الإسرائيلية وعمل عدة كمائن وأطلق الرصاص وقتل وجرح أكثر من ٢٠ إسرائيليا ونفذ أيمن العملية في ١٧ ديسمبر ١٩٩٠.